

شهيدة المسيح الراهبة هيروفيميا من دير بيترو فودا في رومانيا

بقلم فيلوثيو الراهب، دير بيترو فودا، رومانيا

"إنّ تذكّار الشهداء الموقّرين المقدّس يقدّس بالروح القدس الذين باستقامة رأياً يقدّسونهم". (المعزّي، اللحن السادس، سحر الإثنين).

لما كنتُ قد قرأتُ في إحدى الصحف المركزية عن الجامعة المركزية الأوروبية في بودابست التي تأسست سنة ١٩٩٠، أنّ العدد الأكبر من التلاميذ، البالغ ١٤٥ تلميذاً، منذ سنة ١٩٩٠ وحتى الآن، هو من الرومانيين، فقد قرّرتُ أن أكتب هذه الإفادة في شأن ما رأيت وسمعت.



دخولها الشهيدة هيروفيميا قبل
الدير

في مقبرة بيترو فودا تستريح، منذ أكثر من خمس سنوات، الراهبة هيروفيميا التي كانت تُدعى، كعلمانية، سفيتلانا ميخائلا تاناسا. ولدت الراهبة هيروفيميا عام ١٩٦٩ وتخرّجت من جامعة اللغات الكلاسيكية في إياسي، وحصلت على منحة دراسية من مؤسسة سوروس للتخصّص في تاريخ القرون الوسطى في الجامعة المركزية الأوروبية في بودابست. أطروحتها للماجستير تناولت البحث في مخطوطة تتضمّن تفسير سفر التكوين للقديس يوحنا الذهبي الفم. وقد أثبتت، في هذه الأطروحة، أنّ النصّ المطبوع من قبل اليسوعيين

والمنسوب إلى J. P. Migne في P. G. * يحتوي على الكثير من التحريف والتغيير عن المخطوطة المستعملة في البحث والتي تحتوي على نصّ يوحناي أصيل مملوء من الروح. نتيجة لذلك فإنّ طبعة خطيرة لتفسير كتاب التكوين في المستقبل سوف تشكّل الأساس الذي أدخله اليسوعيون عن سوء نية.

وقد قدّر أساتذتها عملها واقترحوا عليها تقديم طلب للحصول على درجة الدكتوراه. أطروحتها كانت مركّزة على سفر التكوين. وكان من المفترض بها أن تبرهن أنّ الآباء القديسين، في تفسيرهم لسفر التكوين، قد سلخوا في إثر أوريجنس الهرطوقي. بدأت سفيتلانا تعمل بثقة دون أن تنتبه إلى الأمر الذي كان قد طلب منها إتمامه. وفيما كانت تراجع ما كتبه الآباء القديسون تحققت من التجديف الذي كان قد طلب منها إثباته. ولا زال عندي ههنا، منها، تفسير سفر التكوين للمغبوط أوغسطينوس باللاتينية، وآخر لأوريجنس باليونانية، وللمغبوط ثيودوريتوس القورشي باليونانية أيضاً، وللقديس أفرام السوري بالإنكليزية، وكذلك شرح للفيلسوف اليهودي فيلون الإسكندري باليونانية، وهي أعمال كانت قد قرأتها في بودابست بنسخها الأصلية. لكن كلما كانت تقرأ كانت تفهم أنّ الآباء القديسين لم يتبعوا أوريجنس الهرطوقي في أعمالهم، بل إنّ واحداً من الأسباب التي دفعتهم إلى الكلام على سفر التكوين كان محاربته، الأمر الذي كان من الممكن تبيّنه من طريقة مقاربتهم لكل سؤال على حدة.

وقد حدث، أثناء وجودها هناك، أنّها طرحت على نفسها بعض الأسئلة فيما يختص بأساتذتها، واكتشفت أنّهم كانوا، في غالبيتهم، من اليهود المزدريين بالأرثوذكسية وبالتقليد. وكانوا من كل الرتب الجامعية. وحين أخبرتهم عن استنتاجها فيما يختص بالآباء القديسين قالوا لها: "لا، ليست استنتاجاتك في محلها، أعيدي التفكير في الأمر. لقد دفعنا لك مالا لننّبتي أمراً معيّنًا وعليك بالانصياع".

وقد تبع هذه المواجهة أيام من الجدل والاحتجاجات.

إثر عودة سفيتلانا إلى رومانيا للحصول على المزيد من المواد الأدبية أحست بالمرض فذهبت إلى الطبيب لإجراء الفحوصات، فاكتشفت أنّها قد أصيبت بسرطان جلدي سريع الانتشار ناحية الكتف اليسرى. وقد كان لذلك تفسير واحد: كانت قد تعرّضت للإشعاعات! قال لها الطبيب



الشهيدة هيروفيميا في الدير

إنّها لن تعيش أكثر من بضعة أشهر. فعادت إلى بودابست لأخذ أمتعتها. هناك تجادلت مع كل من قال لها: "لماذا أنت ذاهبة؟ لدينا العلاج لمرضك. ليس هناك ما هو خطير، يمكننا أن نقدّم لك الشفاء. فقط كوني مطيعة وستبقين على قيد الحياة". (ويبدو أنّهم كانوا على حق، لأنّ

الأطباء أكدوا أنّ هناك طريقة تُمارَس لإدخال السرطان، هذه من الممكن مداواتها إن لم يكن قد مرّ عليها وقت طويل لكن بتكاليف طبّيّة كبيرة). وقد رفضت سفيتلانا التخلّي عن قدّيسي الله ولم تتخلّ عنها النعمة الإلهية بل قوتّها حتى النهاية. فأخذت كلّ ما أمكنها أخذه (مع أنّ قسماً كبيراً من كتبها بقي هناك) وعادت. أتت إلى الأب يوستينوس وأخبرته القصة كلّها فطلب منها أن تبقى في ديرنا، وقد كان هذا في آب ١٩٩٧.

وتبع ذلك حوالي سنة ونصف من المعاناة. انتشر المرض بسرعة ونقشّي في سائر أعضاء جسدها. وببطء صارت تذوب كما كان من الممكن رؤية ذلك بالعين. وقد قبلت أن تُصير راهبة تلبس الجبّة. وقبل رحيلها ببضعة أسابيع صيرت راهبة من قبيل الأب يوستينوس. وقد رفضت أن تأخذ المورفين لكي تتطهّر، بالمعاناة، من كل خطاياها التي اقتزفتها في هذا العالم. كان الوجد لديها تعبيراً عمّا ورد في كتاب المعزّي: "إنّ قدّيسك يا ربّ إذ قد لبسوا ترس الإيمان وتقوّوا بعلامة الصليب، يهرعون إلى المشاق بجرأة فيفتنون كبرياء الشيطان وخديعته".



أخذها الشهيذة هيروفيماء بعد
الإسكيم

يشار إلى أنّ صيحات ألمها تشهد، إلى اليوم، في آذان الذين سمعوها، للعذابات الجحيميّة التي مرّت بها.

وقد أصغى الله إلى رغبتها الأخيرة، أي أن تبقى على قيد الحياة إلى عيد رؤساء الملائكة. ثمّ بعد سهرانة شفعاء ديرنا، ليلة السابع - الثامن من تشرين الثاني ١٩٩٨، حوالي الساعة الثالثة صباحاً، غادرتنا القديسة الشهيذة هيروفيماء وروحها في سلام، بوجه مشعّ، لتعترف أمام الثالوث القدوس بحرب الأرثوذكسيين ضدّ حكّام هذا الدهر ولتنتشف من أجل محبّي الحقيقة. وإذا ما كان العالم الذي نعيش فيه هو، بكلّيته، وجه بابل الزانية الكبيرة، فإنّ القديسة هيروفيماء ترمز إلى ما ورد في كتاب الرؤيا: "وفيها قد وُجد دم أنبياء وقديسين وجميع من قُتل على الأرض".

عند مجيئها أخبرتنا الراهبة هيروفيماء عن حقيقة أنّه قد

ترك الجامعة المركزية الأوروبية، قبلها، وللسبب نفسه - سرطان الجلد - تلميذ من بلغاريا وتلميذة من جيورجيا وأخرى من الولايات المتحدة الأميركية. وإني لأسف أنني لا أستطيع الإدلاء بأسمائهم. قد يكتشفهم أحد ما في وقت من الأوقات في المستقبل.

فإنه لمن السخرية الكبرى أنه بعد رحيل الراهبة هيروفيفا أقام أساتذتها السابقون في الجامعة المركزية الأوروبية جائزة سفيتلانا تاناسا لأفضل أطروحة في السنة!

لقد أراد الشيطان أن يفتت، في جهنم، هذه النفس النقية، لكن رحمة الله أخرجتها من بين برائثه بسبب حبها للحقيقة، لأن الحقيقة هي المسيح ربنا. الأرثوذكسية حية وهي تزدهر بالحقيقة، وبذرة الإيمان هي دماء الشهداء.

"سريعاً أدركنا أيها المسيح إلهنا قبل أن نستعبد لأعدائنا الذين يجذفون عليك ويتهدّدوننا. إهد بصليبك الذين يحاربوننا ليعرفوا كيف يقتدر إيمان ذوي الرأي المستقيم، بشفاعات الشهداء القديسين ووالدة الإله أيها المحبّ البشر وحدك".

* الآبائيات اليونانية

عن موقع orthodoxphotos.com

نقلتها إلى العربية

راهبات دير القديس يوحنا المعمدان - دوما